وائل عبد المجيد

(4) انتقام فريدٌ من نوعه

هبطَت (إيناس) من منزلها بعد أن أغلقَت الباب جيدًا، ذهبت لشراء بعض مستلزمات المنزل، خرجت من المتجر.. وفى طريقها للمنزل لاحظَت شخصًا يحدّق بها، لم تعِرْهُ اهتمامها ومضت في طريقها، قبل أن تصل إلى المنزل اقترب منها وهو يقول:

– لابد أن هذه الأكياس ثقيلة، دعينى أساعدك.

مدّ يده يحاول أن يلتقطها، إلا أنها أبعدَت يدها فورًا وهي تقول في غضب:

– من أوحَى إليكَ أنني بحاجة لمساعدتك؟! انصرف قبل أن أستدعي الشرطة.

هتف في انفعال:

– لا يوجد ما يستحق استدعاء الشرطة، حسنًا سوف أنصرف.

انطلقت بالفعل في طريقها سريعًا، واقتربت من المنزل.
فؤجئت بأحد يهمس في أذنها:

– سوف نلتقي مرة أخرى ولن نبتعد ثانيةً.

التفتَت خلفها في ذعر، لكن لم يكن هناك أحد بجوارها.. ولا خلفها.

ألقَت الحقائب على الأرض وهي تتلفّت يمينًا ويسارًا، لكن لم يكن هناك أحد، هزت رأسها وهي تقول في خفوت:

– لعل هذا وهم.

لم تكد تنتهي من نطقها حتى سمعت صوتًا يقول في ثقة:

– هذا ليس وهمًا يا حبيبتي.

لم تكَد تسمع هذه الجملة حتى التفتَت خلفها مرة أخرى، لكن لم يكن هناك أحد، انتابها الفزع والدهشة.. انطلقَت سريعًا وهرولَت على سلم المنزل، حتى أنها تركت الحقائب ملقَاةً على الأرض، كانت تجري كأنما تطاردها الشياطين.

ما إن دخلت الشقة حتى أغلقَت الباب جيدًا، ودخلت غرفة نوم (رُودَينا) ابنتها لتطمئِنّ عليها، كان الخوف والفزع يسيطران عليها، بمجرد أن شاهدتها ترقد في فراشها حتى تنفسَّت الصعداء، بعد قليل هدأت أعصابها وقامَت بتغيير ملابسها، وجلست تفكّر فيما حدث، أسندت رأسها على المقعد، من هذا الشخص؟!

هل الصوت الذى سمعته صُدفة؟!

فجأة وبدون مقدمات وجدته أمامها! صرخَت بأعلى صوت في فزع، ثم استطردَت قائلة:

– أنقذوني.. لص.. لص..

توقعَت أن يفر من أمامها، إلا أنه على العكس تمامًا؛ ضحك بصوت عالٍ كأنه لا يبالي بصراخها، ثم جلس على المقعد أمامها، ثم هتف في سخرية:

– لن يستطيع سماعكِ أحدٌ مهما طال صراخك؛ لذلك اصمتي حتى يمكننا التحدث.

ارتفع صوت صراخها أكثر وأكثر، لكن عندما لم يستجِب لها أحد صمتَت تمامًا، ضحك وهو يقول في سخرية لاذعة:

– لقد أخبرتكِ مسبقًا بعدم جدوى الصراخ؛ لذلك اصمتي واستمعي لحديثي، لقد بدأ الأمر منذ فترة وجيزة، لقد شاهدتُكِ صدفة وأُعجَبتُ بك وراقبتك وشاهدتُ جسدك؛ فلم أستطع مقاومة فتنتَكِ وسحرك، عند ذلك أعلنتُكِ زوجتي.

انتفض جسدها وهي تشهق بصوت عالٍ، قبل أن تهتف:

– لكن أنا متزوجة بالفعل، كيف يمكن...

قاطعها في لهجة غاضبة:

– لا تذكري هذا الأمر مرة أخرى.. هل فهمتِ؟

كان الخوف يسيطر عليها؛ فلَم تجد سوى أن أومأت برأسها إيجابًا. لانَت ملامح وجهه وهو يقول:

– حسنًا، منذ الآن أعلنتُ أنكِ زوجتي.

انتفضَ جسدها في رعب، وانكمشَت أكثر وأكثر على المقعد عندما هب واقفًا وهو يقترب منها، حتى أصبح أمامها مباشرًا، حاولت الصراخ إلا أن الصوت تحشرج.. لم يتحمّل جسدُها فانهارت فاقدة للوعي.

بعد مرور عدة ساعات.. أفاقت لتجد نفسها ما زالت على المقعد، لم تلبَث أن تذكّرَت ابنتها، هبَّت تجري سريعًا نحو غرفة نومها لتجدها ما زالت نائمة، تنفسَّت الصعداء وخرجَت من الغرفة قبل أن تستيقظ، ذهبَت لإحضار السكّين ومشطَّت أرجاء الشقة، لم يكن هناك أحد! دخلَت غرفتها وهي تفكر فيما حدث، هل كانت تحلُم؟! هل هو كابوس؟! من هذا الشخص المتطفل؟!

ربما كان وهم أو ما شابه ذلك.

استلقَت على السرير، ووضعَت السكين بجوارها، بعد قليل نامت، ثم هبَّت واقفة عندما شعرت بأصابع تعبث في شعرها!

لقد كان هو.. أمسكَت بفستان وجدتْهُ أمامها لتغطي به جسدها، كان يتطلّع إليها مباشرة وهو يبتسم لها، غطَّت جسدها ثم هتفَت في ذُعر:

– كيف استطعتَ الدخول إلى الحجرة؟! إذا كنتُ تريد النقود سوف أعطيك ما تريد، لكن اتركني وابنتي الصغيرة.

ضحك في سخرية، قبل أن يقول:

– لا توجد جدران تمنعني من الوصول إليكِ، أنا لا أريد نقودَكِ، على العكَس.. سوف أحضر لكِ مجوهرات وحليّ لايوجد مثيلٌ لها.

هتفَت بصوت يملؤه الشكّ والريبة:

– من أنت؟! كيف يمكنكَ اختراق الجدران؟!

صمتَ قليلًا، ثم قال في هدوء:

– لقد أخبرتكِ مسبقًا، أنا زوجكِ.

هتفت بصوت عالٍ في غضب:

– أنا زوجة بالفعل، ولا...

ابتلعَت الكلمات في حلقها بعد أن رأَت عينيه تشتعلان بالغضب الشديد!

هتف في انفعال:

– ألم أخبركِ بعدم التحدث في هذا الأمر مرة أخرى؟

اقتربَ منها وحاول وضع يده عليها، إلا أنها تراجعَت في رعب، ولم تلبَث أن انهارت فاقدة للوعي مرة أخرى.

بعد عدة ساعات استيقظَت لتجد نفسها على السرير مرة أخرى.

هبَّت سريعًا نحو غرفة ابنتها، لم تكن هناك!

اندفعَت كالمجنونة تفتّش عنها المنزلَ كله، وأخيرًا وجدتها في الشرفة، تنفسَّت الصعداء واحتضَنَتْها.. انسابَت دموعها وهي تربت على كتفها وتقول:

– حمدًا لله أنكِ بخير، لماذا غادرتِ الفراش؟! الطبيب أمر بعدم تعرّضكِ للهواء البارد، ونحن..

فؤجئَت (رودينا) بهذا التصرف الغريب، إلا أنها أجابتها:

– لقد مللتُ من النوم، وأردتُ رؤية الشارع، كما أن صديقي الجديد أخبرني أنه سوف يحرسني.

هتفَت متسائلة في جزع:

– صديقُكِ الجديد! من هو هذا الصديق؟! وكيف يحرسكِ وهو في منزله؟!

أجابتها:

– إنه ليس في منزله، لقد كان بالقرب مني، هنا في منزلنا.. وبالرغم أنه يكبرني بعدة سنوات إلّا أنه يلعب معي، وأحضر لي بعض الحلوى الملونة.. انظري ها قد حضر.

ثم أشارت بيدها؛ فالتفتَت سريعًا لتجده خلفها.

أمسكَت ابنتها بيدها وضمَّتها إلى صدرها، وهي تقول في فزع:

– ماذا تريد من ابنتي الصغيرة؟! لماذا لَم...

قاطعها في هدوء:

– ابنتكِ هي ابنتي، لن أمسها بسوء أبدًا، لقد أصبحنا أصدقاء.

أكمل وهو يشير إليها:

– أليس كذلك يا صديقتي؟!

أجابته الصغيرة ببراءة الأطفال:

– نعم، لقد أصبحنا أصدقاء جدد.

هتفَت (إيناس) في لهجة جنونية:

– هذا الشخص ليس صديقك.. هذا الشخص لا نعلم من هو.

نظر إليها في غضب شديد، ثم هتف بلهجة حادة:

– لقد انتظرتُ طويلًا حتى ترضخي للأمر الواقع، لكن من الواضح أن الطّيبَة لن تؤتي ثمارها معك.

فجاة أُسدِلَت الستائر وأظلمَت الشقة تمامًا، لم تكن هناك إضاءة إلا نظرات عينيه التى تشع ضوءًا أحمرَ قانٍ.. لون الدم!

صرخَت (إيناس) بأعلى صوت، لكن ما من مجيب، نظر إلى الحائط فظهرت عبارة، "(إيناس) زوجتي وحدي.. ولن أتركك مهما كان السبب، لن يستطيع أحد الصمود أمامي، ولن أتنازل عنكِ لأي سبب".

بمجرد أن قرأت العبارة السابقة انهارَت وافترشَت الأرض، حتى أن (رودينا) ارتطَمَت بالأرض، قبل أن تتمالك نفسها وتقول بنبرة يسيطر عليها اليأس:

– من فضلكَ اختر زوجة أخرى، وارحل عنا واتركنَا لشأنِنا.

فجأة ظهر جسم لامع متألق أضاء الحجرة، ثم تبدّلَت ملامح وجهه، وارتسمَت على شفتيه ابتسامة ساخرة، قبل أن يهز رأسه في قوة مضيفًا:

– ألم أخبركِ من قبل أنني لن أتنازل عنكِ أبدًا؟

التصقَت بالحائط وهي تحضن (رودينا)، وأجابته في انفعال:

– وأنا أخبرتكَ مسبقًا أني متزوجة بالفعل، كيف تريد الزواج مني؟! هل فقدتَ عقلك لتتزوج امرأة متزوّجة بالفعل؟!

ضحك في مرح قائلًا:

– تصحيح.. أنا لا أريد أن أتزوجكِ؛ لأني زوجكِ الوحيد.

هتفَت بكل ذعر الدنيا:

– ماذا تقول؟! زوجي الوحيد! زوجي الوحيد هو (أحمد).

أشاح بوجهه وزمجَرَ بصوت عالٍ، ثم أشار بيده إلى الهواء؛ فسقط جسد رجل ما، كأنما ظهر من العدم..

أمعَنَت النظر فيه قليلًا.. كان هو زوجها!

(أحمد) زوجُها ملقَى أرضًا ومكبّل اليدين والقدمين، اندفعَت كالمجنونة تجاهَهُ وحاولت أن تهزّه، إلا أنه لم يستجب لها، صرخت في ذعر:

– زوجي، ماذا أصابك؟!

حينها اندفَع تجاهها وهو يقول بلهجة حادة غاضبة:

– لقد كان هذا يقف حائلًا بين قبولكِ فكرة الزواج مني؛ لذلك قررت التخلص منه.

ثم انقضّ عليه ومد يده إلى صدره، وانتزع قلبه.

فغرت فاهها.. انحبَسَت الكلمات، أما هو فقد أمسك قلبه بيده، وهو يقول في صرامة:

– الآن أصبحتُ زوجكِ الوحيد وليس هو، هل استوعبتِ الأمر؟!

انهمرَت دموعها غزيرة مصحوبة برجفة انتابتها، وهي تقول بصوت حزين:

– لماذا قتلته يا مجرم؟

صمتَ لحظات قصيرة، ثم نظر إلى (رودينا) نظرة ذات معنى واضح..

لأول مرة في حياتها تواجه هذا الموقف، كيف يمكن أن تتصرف؟!

اقتربَت ببطءٍ شديد وأمسكت بابنتها، ثم انطلقَت تجري سريعًا نحو باب الشقة، لكنها فوجِئَت به مغلقًا، تراجعَت خطوة للخلف وانطلقَت إلى غرفة النوم وأغلقَت الباب جيدًا، ثم جلسَت على السرير وشاهدَت السكين بجوارها؛ فأمسكتها بقوة بيدها اليُمنَى وتحتضن ابنتها باليد الأخرى، مرّت عدة دقائق ولم تلبَث أن هدأت أعصابها قليلًا، وفجأة سطعَت الأنوار في الغرفة بصورة قوية أجبرَتْها على إغلاق عينيها، وحينما فتحتهما وجدته أمامها!

حينها لم تتمالك نفسها ووضعت (رودينا) على السرير، وهبَّت تقف أمامه وهي تقول في تحدٍّ:

– لن أدعك تمسّ ابنتي بسوء، ربما تكون قتلت زوجي.. لكن لن أستسلم لكَ، لن أكون لقمةً سائغة لك.. ارحل عنا واتركنا لشأننا.

لوّحَت بالسكين في وجهه لعلّه يتراجع، إلا أنه ابتسم وهو يقول في مرح:

– يمكنكِ أن تحاولي، لكن لن تنجحي.

رفعَت السكين وحاولت دفعها في صدره، إلا أنها فوجئَت بأنه لم يتحرك قيد أنملة، وعندما دفعتها في صدره أصابَت الهواءَ فقط.

كلّما حاولت طعنه كان يضحك في سخرية لاذعة، سمعت صوتَ فحيح مفزع رهيب، ثم هتف بصوت كأنه يخرج من أعماق الجحيم:

– لن تنعمي بالراحة والسّكِينة والطمأنينة أبدًا.

فوجئَت بانفجار مصباح الغرفة وتساقط الزجاج على رأسها ورأس ابنتها؛ مما أجبرها على إغلاق عينيها، وعندما فتحتهما وجدتْهُ أمامها، كان هناك ضوء خافِت يأتي من شباك الغرفة، لم تلبَث أن استجمَعَت رباطة جأشها ودفعت السكين في صدره.

سمعت صوت صرخة ابنتها، وعندما أمعنَت النظر جيدًا، كانت السكين قد اخترقَت قلب فلذة كبدها، وسمعت صوت ضحكة شيطانية..

خبيثة..

ماكرة..

اخترقَت أذنها، برقَت عيناه بشكل مخيف وهو يتمتم بلهجة المنتصر:

– الآن فقط يمكنني الانصراف، وداعًا يا زوجتي.

ثم أطلق ضحكة ساخرة خبيثة، ثم انصرف عبر الجدار.

لم تصدق ما حدث، أمسكَت جثة ابنتها وهى تقول في فزع:

– مؤكد أن هذا كابوس، لا يمكن أن يكون حقيقة.

ثم حملَت ابنتَها وخرجت إلى غرفة المعيشة، لقد أسلمَت الروح بالفعل، صرخت بأعلى صوت، وهذه المرة سمعها الجيران؛ فاندفعُوا وكسّروا باب الشقة؛ ليجدوها تفترش الأرض وجثة (رودينا) على قدميها وهي تصرخ وتولول، لم تتحدث سوى بكلمات بسيطة:

– زوجي قتله شبح.. وأنا قتلتُ ابنتي.

أبلغ الجيران الشرطة، التي حضرَت على الفور ووجدَت جثة (أحمد)، لم يستطع أحد استجواب (إيناس)، لم تكن تتحدّث سوى تلك الكلمات السابقة؛ لذلك تم إيداعها مستشفى الأمراض العقلية والنفسية.

بعد مرور عدة أيام، ذهبَت (سماح) لزيارتها، وعندما دخلت حجرتها نظرت إليها في تشفٍّ وهي تقول بلهجة المنتصر:

– على الرغم من فقدانك عقلكِ وعدم إدراكِك أو شعورك، إلا أنني لم أكن أفوت تلك اللحظة أبدًا، لحظة الانتصار؛ فأنا من رتّبتُ لكل هذا، لقد حذرتكِ مرارًا وتكرارًا من خطوة زواجكِ من زوجي السابق، لم تتوقّفي عن اللهث وراءه، ولم تكتفي بما تركَهُ زوجكِ السابق، لقد أردتِ كل شيء.. المال والزوج والأطفال، لكن الله لا يعطي للإنسان كل شيء، فبعد أن أحبّكِ وصارحني أنه يريد الزواج منك وخيّرني بين الطلاق وبين الزواج منكِ وأُصبِحُ زوجة على الهامش، رضختُ للأمر الواقع وتقبّلتُ زواجه منكِ، لكنكِ لم تكتفي بهذا؛ فبعدة عدة أشهر من زواجِه منك أرسل لي ورقة الطلاق.. ورفض الانصياع لصوت العقلاء، ورفض رجوعي إليه، ورفض دفع مصاريف أطفالنا؛ فما كان مني إلا البحث عن عملٍ لكي أتولّى الإنفاق على أطفالي، فبعد أن كنت أجلس في المنزل أنتظر عودته أصبحتُ أخرج كل صباح إلى الشركة وأعود في المساء، وأصبحتُ أنتظر يوم الأجازة بفارغ

الصبر؛ لكي أقضيه في النوم؛ لذلك كان لابد من دفع ثمن ما اقترفَتْهُ يداكِ، لقد تقصّيتُ وعلمتُ بذهابكِ إلى دجال؛ لذلك ذهبتُ إلى نفس الدجال الذي وضع خطة زواجك من (أحمد).. ودفعتُ له ثمنًا مضاعفًا، وأخبرته بما أريد وتكفّل هو بوضع تلك الخطة، الآن يمكنني أن أحيا، كما أن أطفالي الصغار أصبحوا الورثة الوحيدين لزوجي السابق، بعد إيداعك مستشفى الأمراض العقلية والنفسية.

أخرجَت من حقيبتها علبة سجائر وأشعلت سيجارة، ونفثَت دخانها في عصبية شديدة، وهي تقول في سخرية:

– بعد كل ما ذكرتُه يمكنني أن أخبرك أن مجيئي إليك الآن؛ لأنني أردتُ التشفّي.

ثم أطلقت زغرودَة بصوت عالٍ..

و ضحكت بصوت عالٍ للغاية..

ضحكات هيستيرية..

جنونية..

حضر الطبيب سريعًا ليجدها ترقص وقد خلعَت بعض ملابسها، وتقفز وتجري في الحجرة، وتقول بصوتٍ عالٍ:

– أخيرًا انتقمتُ منها.

تمكّن هو وبعض الممرضات من السيطرة عليها، وبعد توقيع الكشف الطبي عليها، أمر بإيداعها الحجرة المجاورة لحجرة (إيناس).